﴿۞عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٞۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧﴾ [الممتحنة: 7]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

تَسليةُ المؤمنين إلى حين إيمانِ بقيَّةِ الكافرين والخلاصِ مِن عِداءِ الجبّارين

لَمّا أمَرَ اللّهُ المُؤمنينَ بالبراءة من الكُفّارِ تبرَّأ المؤمنونَ من أقربائهم المُشركينَ، وأظْهَروا لَهُمُ العَداوَةَ، وعلمَ اللّهُ شِدَّةَ ذلك على المُؤمنينَ، فناسب أن يَذكُرَ المودّة؛ لتخفيفِ حدَّةِ العِداء بين الفريقين؛ رجاءَ إسلامِ أقاربِهم الكفّارِ، فقال تعالى مبشِّرًا لهم: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗۚ﴾[1]، كما أنَّ فريقًا من المؤمنين كانوا على درجةٍ من حبِّ أقربائهم، فلمّا أُمروا بالبراءة منهم كان ذلك شاقًّا عليهم؛ لِما جُبِلَ عليه البَشَرُ مِن حُبِّ ذَوي الأرحامِ والعَطْفِ عليهم، فتشَوَّفَت النُّفوسُ إلى تخفيفٍ بنَوعٍ مِنَ الأنواعِ، فأتْبَعَهُ التَّرجيةَ فيما قَصَدَهُ حاطِبٌ ﷺ بغيرِ الطَّريقِ الَّذي يُتوصَّلُ به، فقال على عادةِ الملوكِ في الرَّمزِ إلى ما يُريدونَه، فيَقنَعُ الموعودُ به، بل يكونُ ذلك الرَّمزُ عندَه أعظَمَ مِنَ البَتِّ مِن غَيرِهم، فقال تعالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗۚ﴾[2].

ثمَّ أخبر تعالى أنَّ هذه العداوةَ للمشركين الَّتي أمر اللّه بها المؤمنين، ووصَفَهم بالامتثالِ للأمر بها إنّما تكون ما دام المشركونَ على شركهم وكفرهم، وأنَّهم إن انتقلوا إلى الإيمان فإنَّ العداوة تنقلب مودَّةً إيمانيَّة؛ تسليةً للمؤمنين عمّا نهوا عنه من المودّة مع أقربائِهم. فلا تيْئَسوا - أيُّها المؤمنون - من

(1) أبو السعود، إرشاد العقل اسليم: 8/ 238.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 505 - 506.

رجوعهم إلى الإيمان، فقال تعالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿عَادَيْتُم﴾: أصل الكلمة من العُدوةِ، وهي شاطئُ الوادي وجانبُه. والعُدَواء كنُفَساءَ: المكانُ الَّذي بعضُه مرتفعٌ وبعضُهُ متطأطئ. ويدورُ أصلُ الكلمة على تَجاوُزٍ في الشَّيْءِ وتَقَدُّمٍ لِما يَنْبَغي أنْ يُقْتَصَرَ عليه. ففيه معنى منافاة الالتئام بين طرفين، فتارةً يعتبر التّجاوز بالقلب، فيُقال له: العَداوَةُ والمُعاداةُ. وتارةً بالمشي، فيُقال له: العَدْوُ، وتارةً في الإخلال بالعدالة في المعاملة، فيُقال له: العُدْوانُ والعَدْوُ. والعَداوة: المباعدة والخصومة، والعدوُّ ضدُّ الصَّديق، فكأنَّ كُلًّا في جانبٍ، كعُدوة الوادي. والعداوةُ ضدُّ المودَّة. و﴿عَادَيْتُم﴾ بمعنى (خاصمتم).

2) ﴿مَّوَدَّةٗ﴾: الودُّ الحبُّ[2]، ويَكونُ في جَميعِ مَداخِلِ الخَيْرِ[3]، وأطلق الودُّ على الأُلفة بين القلوب[4]، والودُّ محبَّة الشّيء مع صلةٍ ومُطاوَلةٍ في المحبَّة ولينٍ في المعاملة. ففي المودّة تقرُّبٌ وصلة. ومنه حَديثُ ابْنِ عُمَرَ: (إنَّ أبا هَذا كانَ وُدًّا لعُمَر)؛ أيْ: صَديقًا[5]. ومعنى ﴿مَّوَدَّةٗ﴾: محبَّة[6].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

مَـزْجُ التَّرغيبِ بالتَّرهيبِ مَسلَكُ القرآنِ في إعانةِ الـعِـبـادِ على الطّاعة

بشَّرَ تعالى عبادَهُ المؤمنين بأنَّه يَهدي إلى الإسلامِ قومًا مِن الأعداءِ الَّذين تَربِطُهم بهم رابطةُ الدَّمِ والقرابةِ، ولكيلا تبلغَ

(1) السعدي، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 856.
(2) الراغب، المفردات: (ودد).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (ودد).
(4) الراغب، المفردات: (ودد).
(5) ابن الأثير النهاية في غريب الحديث: (ودد).
(6) العليمي، فتح القرآن: 7/ 29.

القطيعةُ مَداها خاطَبَ المؤمنين بأنْ عسى أن يَجعَلَ بيْنَكم - أيُّها المؤمِنونَ - وبيْنَ الَّذين عادَيْتُم مِن المُشرِكينَ مَوَدَّةً بعدَ العداوةِ والبَغضاءِ الَّتي انعقَدَت بيْنَكم، واللّهُ ذو قُدرةٍ تامَّةٍ على كُلِّ شَيءٍ، وهو قديرٌ على أن يجعلَ بينكم وبين الَّذين عاديتُم من المشركين مودَّةً فيهديَهم للإيمانِ، واللّهُ غفورٌ لذُنوبِ عِبادِه، رحَيمٌ بهم.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

نكتةُ فَصْلِ الجُملةِ عن السّابِق:

أعظمُ فَرَحٍ يَستكِنُّ في قلوبِ المؤمنين هو هدايةُ العالَمين

جملةُ ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ﴾ اعتراضيَّةٌ، وهو استئناف متَّصلٌ بما قبله من أوّل السّورة[1]، ولا تعارُضَ بين الاعتراض والاستئناف، وفائدتُهُ تقريرُ مضمون الجملة وتثبيتُه في قلوب المؤمنين؛ تسليةً لهم عمّا نُهوا عنه، وتطييبًا لقلوبِهم، بأنَّ المعاداة عن زمانٍ قريب ستنقلبُ مودَّةً وسببًا لسعادة أولئك بدخولهم في الإسلام، وهو غايةُ ما يرجوه المؤمن.

بلاغةُ استعمالِ الفعلِ ﴿عَسَى﴾:

بناءُ مَنهَجِ التَّوازُنِ والاعتدال في التَّعامُلِ مع العدوِّ

صُدِّرَتِ الجملةُ بفعل المقاربة ﴿عَسَى﴾ على سبيل الرَّجاء في قوله تعالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ﴾؛ ليفيدَ في أصلِه مقاربةَ رجاءِ حصول الخبر على سبيل تراخي وقوعه في المستقبل، ولمّا أُسند الفعلُ إلى الله تعالى كان إطماعًا لعبادِه المؤمنين على معنى الوعد من الله على عادات الملوك، حيث يقولون في بعض الحوائج: عسى أو لعلَّ، فلا تبقى شبهةٌ للمُحتاج في تمام الأمرِ والقطع والبتِّ فيه، وهذا هو الظّاهر. ولهذا قال كثيرٌ مِن المُفسّرين: (عسى) من الله واجبةُ الوقوع بإذن الله تعالى[2]، على معنى الإطماع.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 150.

(2) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 8/ 579، 17/ 526، وابن عطيَّة، المحرر الوجيز: 5/ 296، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 151.

كما يُحتمَلُ أن يكون المقصودُ مِن استعمال ﴿عَسَى﴾ إطماعًا من الله تعالى لعبادِه المؤمنين؛ ليكونوا على رجاءٍ من الأمر؛ لأنَّهم بامتثالِهم أوامرَ الله تعالى جديرون أن يَطمَعوا في فضلِه ورحمتِه، فتطيبَ نفوسُهم وتهدأ معاداتُهم. وفيه تنبيهٌ للمؤمنين على اقتصادِهم في عداوة المشركين، فعدوُّ اليوم قد يكون مواليًا مناصرًا غدًا، فجملةُ الفائدة هي في الاقتِصادِ في العَداوةِ والموالاةِ[1].

بلاغةُ التَّعبيرِ باسمِ الجَلالةِ دونَ عُنوانِ الرُّبوبيَّة:

هـدايـةُ الخَـلـقِ مِـن مُقتضَيـاتِ توحيدِ الأُلوهيَّة

جاءَ التَّعبيرُ بالاسمِ الجليلِ في قوله تعالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ﴾ دون عنوان الرّبوبيّة؛ لتوريث الهيبةِ في قلوب المؤمنين، فيقعَ الامتثال والاتّزان على أبلغ وجهٍ، وللإشعار بأنَّ تحويل المعاداة الَّتي بين المؤمنين وبين الكافرين إلى مودّةٍ هو من مُقتضَيات وصف الألوهيَّة، فالهدايةُ من الله تعالى، ولا يقدرُ على مثل هذا التّحويل في القلوب أحدٌ سوى الله تعالى. ففيه امتنانٌ من الله تعالى لعبادِه في هذا الجَعْلِ، وإشعارٌ بقدرته العظيمة.

دلالةُ التَّعبيرِ بـ﴿أَن﴾ المصدريَّة:

وعـــدُ الـلـه للمؤمنين نافذٌ تصريحًا وإيماءً

دلَّ استعمالُ ﴿أَن﴾ المصدريَّة في قوله تعالى: ﴿أَن يَجْعَلَ﴾ على أنَّ الجعل المذكور يكون في المستقبل؛ فيكون من قَبيل تأكيد الوعد من الله تعالى على حصول الجعل المذكور في المستقبل، وقد أنجز الله وعده، ووقع ما وعد به سبحانه عام الفتح بدخول مشركي مكَّة في الإسلام، وهو ما يتّسق مع فعل المقاربة ﴿عَسَى﴾، كما أنَّ فيها إيماءً إلى ما سيكون بطريق الإغراء والإطماع.

نكتةُ التَّعبيرِ بالفعلِ ﴿يَجْعَلَ﴾:

دلَّ فعلُ الجَعْلِ المُسنَدُ إلى الله تعالى في قولِه تعالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ﴾ على التّحويل من حالةٍ إلى حالةٍ أخرى، وهي تحويلُ

(1) الخطيب الشربيني، السراج المنير: 4/ 264.

الحالة بين المؤمنين والكافرين من المعاداة إلى المودّة، وهي لا تكون إلّا بجعل الله تعالى؛ فيكون بأسبابٍ لا تعلمونها. ولهذا أسند الجعلَ المذكور إليه سبحانه، وفي التّعبير بالجعل دون فعل التّصيير أو التّحويل - بأنْ يُقالَ: عسى الله أن يُصيِّرَ، أو عسى الله أن يُحوِّلَ - إشارةٌ إلى أنَّ هذا الجعلَ عجيبٌ، وأنَّه يكونُ على غيرِ مثالٍ سابقٍ، كما هي العادة في استعمال الجعل المنسوب إلى الله تعالى في القرآن في مَجاري العظمة والتّعجيب من الأمر، كما قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣﴾ [آل عمران: 103]، فهي آيةٌ من صنعِ الله تعالى.

جَعْلُ المُتعادينَ مُتَوادّينَ مِن آياتِ العَظَمةِ الإلهيَّةِ وبديعِ اللُّطفِ الرَّبّاني

دلالةُ التَّعبيرِ بالظَّرفِ (بينَ):

آثر النّظم الكريم استعمال الظّرف (بين) في قوله تعالى: ﴿يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم﴾، ولم يقل: (عسى الله أن يجعل عداوتكم مودّةً)؛ للإشعارِ بأنَّه تعالى يجعل الصّلةَ الَّتي بين المؤمنين وبين المشركين هي المودّة؛ ففي التّعبير بالبينيَّة إشارة إلى أنَّه تعالى سيجعل الصّلة قائمةً على التّرابط القلبي بالمودَّة؛ أي: الولايةِ القلبيَّة بين الفريقين، والبينيّة هي ترجمة واضحة للعلاقات الاجتماعيّة القائمة على ضوابط الشّرع، ذلك أنَّ المودّة الموعود بها المؤمنون هي مرضيّة عند ربِّ العالمين، فكانت شرعيّة بهذا الاعتبار، ولا يَعِدُ الله تعالى بأمرٍ للمؤمنين إلّا وهو يرتضيه.

العلاقاتُ البينيَّةُ سُننٌ ربّانيَّة؛ فمَوعودُها مُتحقِّقٌ ولو بعدَ حين

نكتةُ تقديمِ الظَّرفِ على المفعول الأوَّل:

قُدِّم ذكر ظرف المكان ﴿بَيۡنَكُمۡ﴾ وما عطف عليه على المفعول ﴿مَّوَدَّةٗ﴾ للاهتمام بموضع العلاقة بين المؤمنين والكافرين، ولعدم التِباسِ المفعول الثّاني بالنَّعت؛ إذ لو أُخِّر الظَّرفُ فقيل: (مودَّةً

الاهتِمامُ وعدمُ الالتِباس

بينكم وبين الَّذين عاديتُم) لظُنَّ أنَّه نعتٌ للمودة، مع أنَّه المفعولُ الثّاني للفعلِ ﴿يَجْعَلَ﴾.

دلالةُ التَّعبيرِ بالاسمِ الموصول:

معرفةُ صفاتِ المُعادينَ طريقٌ الأملِ في رَسْمِ مُستقبَلِ الاتِّحاد

جاءَ التَّعبيرُ بالاسم الموصول في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم﴾؛ للإشارة إلى تخصيص المقصود بالجعل المذكور، فالَّذين عاداهم المؤمنون هم مجموعةٌ من المشركين معلومون بصفاتهم، معروفون بنعوتهم، وهم المقصودون بتصييرِ عداوتهم مودّةً، والمؤمنون يعلمونهم، والعلمُ بهم هو مَعقِدُ الأملِ في جَعْلِ عداوتِهم مودّةً.

دلالةُ صيغةِ المُفاعَلة:

انقلابُ طَرَفي المُعاداةِ معًا إلى المودَّةِ هو مَوضِعُ الامتِنان

جاء التَّعبيرُ بصيغة المُفاعَلة في قولِه تعالى: ﴿عَادَيْتُم﴾؛ لبيانِ أنَّ المُعاداةَ الصّادرة عن الطّرفين هي الَّتي ستتحوَّلُ إلى مودَّةٍ في الطّرفين معًا، لا أنّها ستكون في طرفٍ دونَ الآخَرِ، وهو ما يُرشِّحه استعمال الظَّرف المعطوف على الظَّرف ﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ﴾، وهو تذكيرٌ بالمعاداة الَّتي كانت بين الطّرفين بأنّها ستصبح مودَّةً ومحبَّةً، وهو موضعُ الامتنان.

دلالةُ إسنادِ الفعلِ للمؤمنين:

مُعاداةُ المؤمنين ومودَّتُهم مرهونةٌ بالشَّرعِ لا بالعَواطِفِ والأهْواء

أُسنِدَ فعلُ المعاداة إلى المؤمنين المخاطَبين ﴿عَادَيْتُم﴾، ولم يقل: (عادَوْكم)؛ للإشارة إلى قوَّة مُعاداة المؤمنين للكافرين وصَلابتهم في ذلك، وذلك أنَّ الله تعالى حين حثَّ المؤمنين على عداوة كفّار مكَّةَ والبراءةِ منهم، وذكر لهم فعل إبراهيم والَّذين معه في البراءة من قومهم، وأمَرَهم بالتّأسّي بهم كان الانقيادُ لأمرِ الله تعالى هو المعتبرَ في مدحهم؛ فكانت المكافأةُ بأنْ تَنقلِبَ المعاداةُ مودَّة، وهو ما يدلُّ على أنَّ المؤمن لا يكرهُ إلّا لله تعالى، ولا يُعادي إلّا على ضوءِ ضوابط الشّرع، ففي حينِ أنّه عادى لأجل الله تعالى فرح بالوعد الضِّمنيِّ بانقلاب العداوة مودَّة، فعادى لله، ووَدَّ لله، وهو قريبٌ من

موقف إبراهيم ﷺ حين أرادَ ذبح ابنِهِ للّهِ، وترَكَ ذبحَهُ للّهِ، وهذا هو معنى الإيمان القائم على الاستسلام.

نوعُ (مِن) ودلالتُها:

يَحتمِلُ حرفُ الجرِّ (مِن) في قوله تعالى: ﴿عَادَيْتُم مِّنْهُم﴾ أن يكون للتّبعيض؛ بمعنى: مِن بعض كفّار مكّة؛ ليدلَّ الكلامُ على أنَّ معاداة المشركين كانت لبعضِهم لا لجميعِهم، كما يُحتمَلُ أن يكون حرفُ الجرِّ (مِن) بيانًا؛ أي: عاديتموهم.

تعيينُ مرجعِ الضَّميرِ ودلالتُهُ:

يرجعُ الضّميرُ في قوله: ﴿مِّنْهُم﴾ إلى المقصودين في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾، ولمّا عاد الضّمير إلى المشركين، وكان لفظُ ﴿عَادَيْتُم﴾ يُفيدُ المشاركةَ كان التّقدير: من المشركين الَّذين عادوكم؛ أي: بما تقدَّم مِن أعيانهم من أهل مكّة[1]، ففيه إشارةٌ إلى أنَّ العداوةَ بدأت منهم بسبب كفرِهم ومحاربتِهم لكم من أجلِ إيمانِكم وتمسُّككم بدينِكم.

المشركون هم مَن بدَأ العداوةَ بإيثارِهم الكفرَ على الإيمان

بلاغةُ الكناية:

الوعدُ بتحويل مُعاداة المؤمنين للكافرين إلى مودَّة في قوله تعالى: ﴿أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾ كنايةٌ عن دخول الإسلام؛ لأنَّه تعالى لمّا نهى عن إلقاء المؤمنين إلى الكافرين بالمودَّة دلَّ على أنَّ المودَّة لا تكون إلّا بين المؤمنين، فلمّا أخبر تعالى أنَّه يجعل بين المؤمنين وبين الَّذين عادوهم مودَّة دلَّ على أنَّهم يدخلون في الإسلام ويؤمنون؛ لأنَّ المودَّة لا تكونُ إلّا بين المؤمنين. وفي هذا تأكيدٌ لِما أمَرَهم به مِن ترك موالاتِهم ما داموا كفّارًا[2].

المودَّةُ كنايةٌ عن دخولِ الإسلام وإقامةِ العلاقاتِ على أساسِ الشَّرع

(1) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 506.

(2) الثعلبي، الكشف والبيان: 26/ 30، ومكي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية: 11/ 7421، وأبو حفص النّسفي، التيسير في التفسير: 14/ 387، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 205، والسعدي، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 856.

وأفاد دخول المشركين في الإسلام مَيْلَهم إليه، ومخالطتَهم للمسلمين، ومعاملتَهم معهم، ومناكحتَهم إيّاهم[1]، وفي هذا تأليفٌ للقلوب؛ ليكونَ غيرُ المؤمنين قريبين من الإسلام، فيعرفوا أحكامَه وأخلاقه؛ فيكونُ المراد أعمَّ من الوجهِ الأوّل الَّذي اقتَصَرَ على أن تكون المودَّة بدخول الإسلام.

نوعُ الواوِ ودلالتُها:

تقليبُ القُلوبِ وتسهيلُ أسبابِ المحبَّةِ مِن مَظاهِرِ القُدرةِ الإلهيَّة

الواوُ في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ قَدِيرٌ﴾ استئنافيّةٌ، أفادَتْ تعليلَ جعلِ المعاداة مودّةً، وهو تذييلٌ يُشعِرُ بأنَّ تأليفَ القُلوبِ ومَودَّتَها إنَّما هو مِن قُدرةِ اللّهِ تعالى وحدَه[2]، فهو وحدَهُ سبحانه قديرٌ على تقليب القلوب وتغيير الأحوال وتسهيلِ أسباب المحبَّة[3]، فاللّه قديرٌ على أن يفتحَ قلوبَ المشركين للإيمان.

نكتةُ حَذْفِ مُتعلَّقِ صيغةِ المُبالَغة:

إيجازُ القَصْرِ مبنيٌّ على لَحْظِ قَرائنِ السِّياق

مجيءُ جملةِ ﴿وَٱللَّهُ قَدِيرٌ﴾ اسميَّةً يفيدُ ثبوتَ مضمونِها، وحُذِفَ متعلَّقُ صيغةِ المبالغةِ للإيجازِ المعلوم من السّياق؛ إذ تقدير المعنى: واللّهُ قدير على أن يوفّق المشركين للإيمان، وعلى أن يجعلَ العداوةَ مودَّةً[4]، فلمّا حُذِفَ المتعلَّق أشعَرَ باستقلاليَّة الجملة، فتكونُ بمثابة تذييلٍ لِما قبلها[5] مع ارتباطِها في المعنى بعلاقة السّياق؛ فيدخلُ الجعلُ المذكورُ في قدرةِ اللّه تعالى دخولًا أوّليًّا، كما أنَّ الجملةَ التّذييليَّة تجري مَجرى المَثَلِ في حكايتِها والإخبارِ بها.

دلالةُ التَّعبيرِ بصيغةِ ﴿قَدِيرٌ﴾:

تبديلُ أحوالِ القُلوبِ مِن مُقتَضَياتِ القُدرةِ الإلهيَّة

جاءَ استعمال صفةِ ﴿قَدِيرٌ﴾ على وزن (فعيلٍ)؛ للإيذان بالمبالغةِ

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 520.
(2) عطية سالم، تتمة أضواء البيان: 8/ 90.
(3) الزمخشري، الكشاف: 4/ 515.
(4) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 23/ 321.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 151.

في القُدرةِ؛ إشعارًا بأنَّ الجعلَ المذكورَ لا يكون إلّا مِن الله تعالى ذي القدرة البالغة على تقليبِ القلوبِ وتسهيلِ أسبابِ المودَّةِ والمحبَّة بعدَ المعاداة، بأنْ يُغيِّرَ الأحوالَ، فيصيرَ المشركونَ مؤمنين صادقين، وتصيروا أوِدّاءَ لهم متحابّين فيما بينكم[1].

سرُّ تكرارِ اسمِ الجلالةِ (اللهُ):

تكرَّرَ الاسمُ الجليل (اللهُ) في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ قَدِيرٌۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾؛ لتثبيتِ معنى الاسم الجليل في قلوبِ المؤمنين، وللتَّلذُّذِ بذكرِه، فهو الَّذي يجعلُ العداوةَ مودّةً بين المؤمنين والكافرين، ففي تكراره إيماءٌ إلى رِفْقِ الله تعالى بالمؤمنين ورحمتِه بهم، وإيذانٌ باستقلالِ كلِّ جملةٍ في الدَّلالة، فتكون تذييلًا، مع ارتباطِها بما قبلَها في المعنى.

الإيذانُ باستقلالِ مضمونِ كلِّ جملةٍ عن مضمونِ سابقتِها

بلاغةُ جُملةِ الفاصِلة:

جاءت جملةُ الفاصلة ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ اسميَّةً؛ لتفيدَ ثبوتَ مضمونها؛ بمعنى ثبوتِ مضمون كون الله تعالى غفورًا رحيمًا، كما أنَّ الجملة لمّا كانت تحمل معانيَ عامَّةً كليَّةً بقرينةِ حذف متعلَّق لفظَي ﴿غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ أفادت معنى الاستقلال؛ لتكون جملةً تذييليَّةً بعدَ التَّذييلِ بجملةِ ﴿وَٱللَّهُ قَدِيرٌۚ﴾، وفائدة الجملة الاحتراسُ عن إرادة القدرة على التّعذيب، وصرفِها للهداية والرّحمة، فالله قديرٌ على هداية المشركين، وهو غفورٌ لذنوبهم رحيمٌ بهم إنْ آمَنوا.

الاحتراسُ عن صَرْفِ القُدرةِ على العذابِ إلى الهداية

دلالةُ اقترانِ صفةِ المغفرةِ بالرَّحمة بصيغةِ المبالغة:

لمّا أظهر الله قدرتَهُ في قلب العداوة مودَّةً، ولم يبقَ إلا كدرُ الذّنب ناسَبَ أن يختمَ الآية بقولِه تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾؛ أي: فيغفرُ بمغفرتِه البالغةِ ما فرَطَ منكم في موالاتهم، ويرحمُكم برحمتِه الواسعة بضمِّ الشَّمل، كما أنَّه تعالى لمّا ذكَرَ تحويلَ المعاداةِ إلى

مغفرةُ اللهِ ورحمتُهُ تَنالُ مَن أسلَمَ منَ المشركينَ وما فرَطَ مِن موالاةِ المؤمنين لهم

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 151.

المودَّةِ الَّتي تَستلزِمُ إيمانَ الكفّار دلَّ بذكر الوصفين بصيغة المبالغة ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ على مغفرتِه البالغةِ لذنوبِهم بسبب إيمانِهم ورحمتِه العظيمة بهم؛ إذ جعل الإيمانَ في قلوبِهم، فيكون تعقيبُ جملةِ ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لِما سبقَ مناسبًا للسّياق؛ لأنَّ فيه إشعارًا بأنَّه تعالى يغفرُ لَمَن أسلمَ منَ المشركينَ ويرحمُهُم، ويَغفِرُ ما فرَطَ من المؤمنين في موالاتِهم مِن قبلُ، وما بقيَ في قلوبِهم من مَيْلِ الرَّحِمِ[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

المُعاداةُ والمُخاصَمة:

يَـغـلِـبُ عـلى العداوةِ أنَّها من أفعالِ القلوب، أمّـا المُخاصَمةُ فبالأقوال

العَداوَةُ إرادَة السّوء لَمَن تعاديه، وتفيد بُعْدَ المُعادي ونفرتَهُ قلبيًّا، كما تُفيد وجودَ نزاعٍ بين الأعداء، والعداوة سببُ الشَّنآن، وأخَصُّ من البغضاء؛ لأنَّ كلَّ عَدوٍّ مبغَضٌ، وقد يُبغَضُ مَن ليس بعدوٍّ[2]، وقد يَعتدي البغيضُ عليك وقد لا يعتدي، كما أنَّ العداوة فيها منازعةٌ بقتالٍ أو غيرِه، والبغضُ ليس كذلك.

أمّا المخاصمةُ فهي من قبيل القَوْل؛ لأنَّ المخاصمة فيها منازعةٌ ومجادَلةٌ في القول، والمعاداةُ مِن أفعال القُلوب، ولهذا قابَلَ الله تعالى في آية الممتحنة المعاداةَ بالمودّة الَّتي تكون في القلوب كذلك. ويجوزُ أن يُخاصِم الإنسانُ غيره من غير أنْ يعاديَهُ، ويجوزُ أنْ يعاديَهُ ولا يُخاصِمَهُ بالقولِ[3]، بأن يُضمِرَ عداوتَه في قلبِه.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 4/ 264، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 238، وعبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 14/ 902.
(2) الكفوي، الكليات، ص: 644.
(3) أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص: 131.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والستون،
سورة الحَشر من الآية 11 إلى سورة المُنافِقُونَ الآية 04
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والستون، سورة الحَشر من الآية 11 إلى سورة المُنافِقُونَ الآية 04
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 61 ، 814 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-645-72-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 61 : المجلد الحادي والستون، سورة الحَشر من الآية 11 إلى سورة المُنافِقُونَ الآية 04.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-645-72-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6860354 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"